

الدنيا

مزرعة الآخرة

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق
والليالي متجر الإنسان والأيام سوق

إعداد

القسم العلمي بدار الوطن

خصم خاص للتوزيع الخيري

الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - ت/٤٧٩٢٠٤٢ - ف/٤٧٢٣٩٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الزاهدين وإمام العابدين، أما بعد:

فإن الدنيا دار سفر لا دار إقامة، ومنزل عبور لا موطن حبور، فينبغي للمؤمن أن يكون فيها على جناح سفر، يهيئ زاده ومتاعه للرحيل المحتوم.

فالسعيد من اتخذ لهذا السفر زادًا يبلّغه إلى رضوان الله تعالى والفوز بالجنة والنجاة من النار.

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق
والليالي متجرُ الإنسانِ والأيامُ سوق

تعريف الزهد في الدنيا

تعددت عبارات السلف في تعريف الزهد في الدنيا وكلها تدور على عدم الرغبة فيها وخلو القلب من التعلق بها.

* **قال الإمام أحمد:** الزهد في الدنيا: قصر الأمل.

* **وقال عبدالواحد بن زيد:** الزهد في الدينار والدرهم.

* **وسئل الجنيد عن الزهد فقال:** استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.

* **وقال أبوسليمان الداراني:** الزهد: ترك ما يشغل عن الله.

* **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:** الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة. واستحسنه ابن القيم جدًا.

* **قال ابن القيم:** **والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة!!.**

فأين المسافرون بقلوبهم إلى الله؟

أين المشمرون إلى المنازل الرفيعة والدرجات العالية؟

أين عشاق الجنان وطلاب الآخرة؟

الزهد في القرآن

قال الإمام ابن القيم: «والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخسَّتها وقلَّتها، وانقطاعها وسرعة فنائها، والترغيب في

الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها.

ومن الآيات التي حثت على التزهيد في الدنيا:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

٢ ـ وقوله سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ـ١٧].

أحاديث الزهد في الدنيا

أما أحاديث النبي ﷺ التي رغبت في الزهد في الدنيا والتقلّل منها والعزوف عنها فهي كثيرة منها:

١ ـ قول النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» [رواه البخاري].

وزاد الترمذي في روايته: «وعدّ نفسك من أهل القبور».

٢ ـ وقال النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» [رواه مسلم].

٣ ـ وقال ﷺ مبينًا حقارة الدنيا: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع» [رواه مسلم].

٤ ـ وقال ﷺ: «مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل

راكب قال - أي نام - في ظل شجرة، في يوم صائف، ثم راح وتركها» [رواه الترمذي وأحمد وهو صحيح].

٥ - وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء» [رواه الترمذي وصححه].

٦ - وقال ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

٧ - وقال ﷺ: «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصًا، ولا يزدادون من الله إلا بعدًا» [رواه الحاكم وحسنه الألباني].

حقيقة الزهد في الدنيا

الزهد في الدنيا **هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فهو ليس بتحريم الطيبات وتضييع الأموال، ولا بلبس المرقع من الثياب، ولا بالجلوس في البيوت وانتظار الصدقات، فإن العمل الحلال والكسب الحلال والنفقة الحلال عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، بشرط أن تكون الدنيا في الأيدي، ولا تكون في القلوب**، وإذا كانت الدنيا في يد العبد لا في قلبه، استوى في عينه إقبالها وإدبارها، فلم يفرح بإقبالها، ولم يحزن على إدبارها.

قال ابن القيم في وصف حقيقة الزهد: «وليس المراد (من الزهد) رفضها (أي الدنيا) من الملك، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما.

* **وكان** نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة.

* **وكان** علي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير وعثمان - رضي الله عنهم - من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال.

* **ومن** أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن أو غيره: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك.

* **جاء** رجل إلى الحسن فقال: إن لي جارًا لا يأكل الفالوذج. فقال الحسن: ولم؟ قال: يقول: لا أؤدي شكره. فقال الحسن: إن جارك جاهل، وهل يؤدي شكر الماء البارد؟!

أهمية الزهد

إن الزهد في الدنيا ليس من نافلة القول، بل هو أمر لازم لكل من أراد رضوان الله تعالى والفوز بجنته، ويكفي في فضيلته أنه اختيار نبينا محمد ﷺ وأصحابه، قال ابن القيم رحمه الله: «**لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فسادٍ في العقل، أو منهما معًا**.

ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدّوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كلّ محبوب، ولوصلوا منها إلى كلّ مرغوب، ولكنهم علموا أنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف ينقشع عن قليل، وخيال طيفٍ ما استتم الزيارة حتى أُذِّن بالرحيل».

أقسام الزهد

قال ابن القيم رحمه الله: الزهد أقسام:

١ ـ زهد في **الحرام**، وهو فرض عين.

٢ ـ وزهد في **الشبهات**، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا.

٣ ـ وزهد في **الفضول**، وهو زهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره.

٤ ـ وزهد في **الناس**.

٥ ـ وزهد في **النفس**، بحيث تهون عليه نفسه في الله.

٦ ـ وزهد **جامع لذلك كلّه**، وهو الزهد فيما سوى الله وفي كلّ ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد.. والقلب المعلّق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

أقوال السلف في الزهد

❊ **قال عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكلٍّ منهما بنون، فكونوا

من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل. ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

* **وقال عيسى ابن مريم** عليه السلام: اعبروها ولا تعمروها.

* **وقال:** من ذا الذي يبني على موج البحر دارًا؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا.

* **وقال عبدالله بن عون:** إن من كان قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم.

قلت: هذا كان في زمان عبدالله بن عون، أما اليوم فإن أكثر الناس قد زهدوا في الآخرة حتى بالفضلة!!

الأسباب المعينة على الزهد في الدنيا

١ - **النظر** في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها ونقصها وخسَّتها وما في المزاحمة عليها من الغصص والنغص والأنكاد.

٢ - **النظر** في الآخرة وإقبالها ومجيئها ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات.

٣ - **الإكثار** من ذكر الموت والدار الآخرة.

٤ - **تشييع** الجنائز والتفكر في مصارع الآباء والإخوان وأنهم لم يأخذوا في قبورهم شيئًا من الدنيا ولم يستفيدوا غير العمل الصالح.

٥ - **التفرغ** للآخرة والإقبال على طاعة الله وإعمار الأوقات بالذكر وتلاوة القرآن.

٦ - **إيثار** المصالح الدينية على المصالح الدنيوية.

٧ - **البذل** والإنفاق وكثرة الصدقات.

٨ - **ترك** مجالس أهل الدنيا والاشتغال بمجالس الآخرة.

٩ - **الإقلال** من الطعام والشراب والنوم والضحك والمزاح.

١٠ - **مطالعة** أخبار الزاهدين وبخاصة سيرة النبي ﷺ وأصحابه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *